النصرة والخذلان

في ضوء سنة النبي العدنان ﷺ

إعداد الدكتورة

هدى جابر محمد قطب

مدرس بقسم الحديث وعلومه

كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات

مدينة السادات، جامعة الأزهر، القاهرة

النصرة والخذلان

في ضوء سنة النبي العدنان ﷺ

هدى جابر محمد قطب

قسم الحديث وعلومه، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات – مدينة السادات، جامعة الأزهر، القاهرة، مصر

البريد الالكتروني: HudaGaber.419 @azhar.edu.eg

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى بيان معنى النصرة وأهميتها كخلق نبوي، وواجب شرعي ينبغي التخلق به، وبيان كيفية النصرة ولمن تكون، وما الفضل المترتب على فعلها في الدنيا والآخرة، وكيف نكون قبل كل ذلك أهلا لها، وما عقوبة تركها كذلك في الدنيا والآخرة، وأنهي ذلك ببيان نماذج وصور من نصرة النبيﷺ وصحابته الكرام للمظلومين مسلمين كانوا أو غير مسلمين.كما يهدف البحث أيضًا إلى بيان معنى الخذلان، وأسبابه، وصوره، وبيان العقوبة المترتبة عليه في الدنيا والآخرة. وقد اتبعت في هذا البحث المنهج الاستقرائي التحليلي، باستقراء السنة المطهرة التي تحدثت عن النصرة، والخذلان، وتحليل النصوص التي وقفت عليها لبيان مراد النبي ﷺ منها، مستأنسة بأقوال العلماء في بيان ذلك. وقد توصلت من خلال هذا البحث إلى أن النصرة واجب ديني من المسلم لأخيه المسلم بل وغير المسلم أيضا.ومما وقفت عليه أيضا من نتائج هذا البحث، أن نصرة المظلوم لا تتأتى إلا بنبذ العصبية، وحل النزاع والبعد عن الخلافات، وغير ذلك من النتائج التي سوف أوضحها في البحث.

الكلمات المفتاحية: النصرة، تفريج الكربات، الخذلان، نبذ العصبية، حب الدنيا، السنة المطهرة.

Nusrah (Helping the Oppressed) and Betrayal in light of the Sunnah of the Prophet (pbuh)

Huda Gaber Muhammad Qutb.

Department of Hadith and its Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Female Students in Sadat City, Al-Azhar University, Egypt

Email: HudaGaber.419@azhar.edu.eg

Abstract:

This research aims to explain the meaning of Nusrah (helping the oppressed) and its importance as a prophetic quality, and a duty that must be fulfilled according to the Sharia. The research explains how and to whom Nusrah is given, the virtue of giving Nusrah in this world and the hereafter, how to be capable of it, and the penalty for falling short of it in this world and the hereafter. This is followed by giving examples and pictures of the help of the Prophet (pbuh) and his honorable companions to the oppressed, whether they were Muslims or non-Muslims. On the other hand, the research aims to explain the meaning of betrayal, its causes, and its forms, and to explain the punishment resulting from it in this world and the hereafter. In this research, which follows the inductive and analytical approaches, the Prophet’s hadiths that touch on Nusrah and betrayal have been collected, studied and analyzed. Through this research, I have come to the conclusion that Nusrah is a religious duty from a Muslim to his Muslim brother and even

to non-Muslims as well. The results of this research also show that supporting the oppressed cannot be achieved except by rejecting fanaticism, resolving conflicts, and staying away from differences.

Keywords: helping the oppressed - relief of distress - betrayal - rejection of fanaticism - love of worldly life - the purified Sunnah

المقدمة:

الحمد لله الذي أرشد إلى الصراط المستقيم، ومدح الخُلقَ العظيم، وأرسل نبيه محمد متممًا لمكارم الأخلاق، وأدبه فأحسن تأديبه على الإطلاق.

لقد كان ﷺ الينبوع الزاخر لعظيم الأخلاق وطيبها، وجميل الصفات وأحسنها، كيف لا؟ وهو الذى اصطفاه ربه عزوجل لحمل أعظم الأمانات، وتبليغ أكمل الرسالات.

ولا يكون المسلم مسلمًا حقا حتى يقتدي بالنبيّ ﷺ في أقوالِه وأفعالِه؛ وأخلاقِه، بل وإن التخلق بأخلاقِه ﷺ من أدلِ وأصدقِ علامات محبته، فالمحِبّ مُطيع لمحبوبَه.

وليست أخلاقه ﷺ شعارات أو عبارات تكتب في الكتب والمجلات، أو تقال في المحافل والمناسبات، بل ينبغي أن تتحول إلى تطبيقات عملية، وممارسات فعلية كما فعل أسلافنا الأوائل من صحابته الكرام، فتحولت الأمة بأخلاقهم ومعاملاتهم إلى أعظم الأمم.

أما ما آلت إليه أمتنا اليوم فما هو إلا نتاج لابتعادنا عن أخلاقه ﷺ، بل وابتعادنا عن تعاليم ديننا جملة وتفصيلًا.

وذلك لأن الأخلاق فيض من ينبوع الإيمان يشع نورها داخل النفس وخارجها، فليست الأخلاق فضائل منفصلة، وإنما هي حلقات متصلة في سلسلة واحدة، فعقيدة المسلم أخلاق، وشريعته أخلاق، لا يُخرق إحداها إلا أحدث خرقا في إيمانه.

فالأخلاق دليل الإسلام وترجمته العملية، وكلما كان الإيمان قويا أثمر خلقا قويا.

وكما أن هناك أخلاق فطرية، كذلك بإمكان أي إنسان أن يكتسب بعض الفضائل والأخلاق، وذلك بالتربية المقترنة بالإرادة والعزيمة.

ومن أشرف هذه الأخلاق وأصفاها خلق النصرة، النصرة للمستضعفين والمظلومين، مسلمين كانوا أو غير مسلمين، أفرادًا كانوا أو جماعات، بشرًا أو مؤسسات.

وهذا موضوع بحثي الذي أشرف بالكتابة فيه، نعم قد تكلم في هذا الموضوع أناس كثر، ولكني أردت تأصيله، وربطه بسنة الحبيب ﷺ، راجية من الله نقاء الحق والخير، وأن يتوّجني ربي ﷻ بتاج القبول والإقبال، ويجيزني بجائزة الرضا في الحال والمآل، والله أسال التوفيق والإرشاد إلى سلوك طرق السداد، فهو حسبي ونعم الوكيل.

جعلَنا اللَّهُ مِنَ العَامِلِينَ بِما علمنَا، وَأَعانَنا عَلَى تَفهِيمِ مَا فَهِمنَا، ووهبَ لَنا علمًا نافعًا يُبلِّغُنَا رِضَاهُ، وَعَمَلًا زاكِيًا يَكُونُ عُدةً لَنَا يومَ نلقاهُ، إِنه عَلَى كُل شَيءٍ قَدِيرٌ، وبالإِجابَةِ جَدِيرٌ.

ومــا لـــي فيه ســوى أنني ** أراه هوى وافــق المقــصِدا**

وأرجو الثواب بكَتْبِ الصلاة ** على السيد المصطفى أحمدا**(1)

وقد قمت بحمد الله وعونه بتقسيم هذا البحث إلى فصلين: تسبقهما مقدمة، وتقفوهما خاتمة، وفهارس.

أولا: المقدمة وتشتمل على:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره :

تكمن أهمية هذا الموضوع فيما نراه في واقعنا المعاصر من خذلان المسلم لأخيه المسلم في موطن يستدعي منه النصرة فيه، والوقوف بجانبه، وحمايته والزود عنه بكل ما أوتي من قوة، لأنه من تمام الإيمان، وشعائر الإسلام دل

(١) قلت: هي من أبيات أبي بكر البرقاني، نسبها إليه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد :(٥/ ١٣٩).

على ذلك القرآن وسنة النبي العدنانﷺ، فأحببت رغبة مني أن أذكر نفسي والمسلمين بهذا الواجب المفقود الذي غاب عنا، وبيان حكم النصرة، وصورها، وآثارها، وكذلك عقوبة الخذلان، وأسبابه، وأنواعه.

أسأل الله عزوجل التوفيق في ذلك والسداد، فمنه وحده النصرة والمعونة والرشاد.

٢- مشكلة البحث:

مشكلة هذا البحث أني وجدت الكثير من المسلمين يتسائلون عن واجبهم تجاه المظلومين والمكلوبين من المسلمين وغير المسلمين، وهل نصرتهم واجبة، أم لا؟ وكيف تكون؟ وما حكم الخاذلين لهم، وما عقوبة الخذلان في الدنيا والآخرة، كل هذه الأسئلة أحببت أن أجيب عنها في بحثي هذا، وأن أكشف اللثام عن كل ما خفي على بعض المسلمين معرفته منها.

٣- الدراسات السابقة:

لم أقف على دراسة أكاديمية تكلمت عن هذا الموضوع بالتفصيل، ولكن وجدت بعض الخطب أو المقالات القصيرة التي لم توف الموضوع حقه في العرض، وبيانه من كل جوانبه.

٤- خُطة البحث:

يشتمل البحث على مقدمة، وفصلين، وخاتمة، وفهرسًا.

أولاً: المقدمة وتشتمل علي ما يلي:

١- أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

٢- مشكلة البحث.

٣- الدراسات السابقة.

٤- خُطة البحث.

٥- منهج البحث.

ثانيًا: الفصل الأول: النصرة في ضوء السنة النبوية، وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف النصرة لغة وشرعًا.

المبحث الثاني: حكم النصرة.

المبحث الثالث: لمن تكون النصرة؟

المبحث الرابع: كيف نكون أهلا للنصرة؟

المبحث الخامس: وسائل النصرة.

المبحث السادس:آثار النصرة.

ثالثًا: الفصل الثاني: الخذلان في ضوء السنة النبوية،وفيه مباحث:

المبحث الأول: تعريف الخذلان لغة وشرعا.

المبحث الثاني: أنواع الخذلان.

المبحث الثالث: أسباب الخذلان.

المبحث الرابع:عواقب الخذلان في الدنيا والآخرة.

رابعًا: الخاتمة، وتشتمل على أهم النتائج والتوصيات.

خامسًا: فهرس الموضوعات.

٥- منهج البحث :

وقد اقتضت طبيعة هذا البحث أن يسير وفق المنهج (الاستقرائي التحليلي الاستنباطي):

- أما المنهج الاستقرائي، فقد قرأت في كتب السنة وشروحها عن كل ما يتعلق بموضوع البحث، ثم قمت بجمعه.
- ثم المنهج التحليلي الاستباطي، وقمت من خلاله بتحليل الأحاديث التي وقفت عليها لاستنباط ما يدل عليه كل حديث من الأحاديث المتعلقة بالبحث، وما علق به الأئمة عليه.

الفصل الأول

النصرة في ضوء السنة النبوية

المبحث الأول: النصرة لغة وشرعًا:

النصرة لغة:

من النَّصر، وهو إِعانة الْمَظْلُومِ؛ نصَره علَى عَدُوِّهِ ينصُره، ونصَره ينصُره نصْراً، وَرَجُلٌ ناصِر مِنْ قَوْمٍ نُصَّار ونَصْر.

ومن مشتقاته:

النَّصِير، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾[1]

والنصير: هو الموثوق منه بأن لا يسلم وليه ولا يخذله، ونصره سبحانه ليس كنصر المخلوق[2].

وأَنْصَار، وهم أَنْصَارُ النبيّ ﷺ، من الأوسِ والخزرج، ونصروا النبيَّ ﷺ فِي ساعةِ العُسرة، غَلَبَتْ علَيْهِم الصِّفة فَجَرَى مَجْرَى الْأَسْمَاء، وَصَارَ كأنّه اسمُ الحيّ، وَلذَلِك أُضيف إِلَيْهِ بلفظِ الْجمع فَقيل: أَنْصَاري.

قال الشاعر:

(واللهُ سَمَّى نَصْرَكَ الأَنْصارا ... آثركَ الله بهِ إيثارا)

والنُّصْرة: حُسْن المَعُونة، * وانْتَصَر الرَّجُلَ إِذا امتَنَع مِنَ ظالِمِه. قَالَ الأَزهري: يَكُونُ الانْتصَار مِنَ الظَّالِمِ الانْتِصاف والانْتِقام.

*وانْتَصَر مِنْهُ: انْتَقَم، * والاسْتِنْصار: اسْتِمْداد النَّصْر. واسْتَنْصَره عَلَى عَدُوّه أَي سأَله أَن ينصُره عَلَيْهِ، * والتَّنَصُّرُ: مُعالَجَة النَّصْر ولَيْسَ مِنْ بَاب تَحلَّم وتَنَوَّر، *والتَّناصُر: التَّعاون عَلَى النَّصْر، * وتَناصَرُوا: نَصَر بعضُهم بَعْضًا[3].

---

(١) من سورة الأنفال:٤٠.

(٢) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٢٢٢).

(٣) مختار الصحاح (ص: ٣١١) – لسان العرب (٥/ ٢١٠).

ومن جملة هذه المعاني نستخلص أن النصرة لغة هي: حسن إعانة المظلوم على من ظلمه، واستنصاره على عدوه.

النصرة شرعًا:

ومن المعاني اللغوية نستطيع أن نجد للنصرة تعريف في الشرع وهو:

المعونة، والتأييد، والتعاون، والاستنصار، ودفع الظلم عن كل مظلوم بكل ما أملك من قوة، وبأي طريقة أستطيعها، لا يمنعني من ذلك إلا تحقق وقوع الضرر بي، أو به.

المبحث الثاني: حكم النصرة:

يقول الحق جل وعلا في كتابه الكريم: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴾(1).

قال الفخر الرازي: "وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ الْحُكْمَ فِي قَطْعِ الْوَلَايَةِ بَيْنَ تِلْكَ الطَّائِفَةِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، بَيَّنَ أَنَّهُ لَيْسَ الْمُرَادُ مِنْهُ الْمُقَاطَعَةَ التَّامَّةَ كَمَا فِي حَقِّ الْكُفَّارِ، بَلْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ لَمْ يُهَاجِرُوا لَوِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فَانْصُرُوهُمْ، وَلَا تَخْذُلُوهُمْ"، رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا قَامَ الزُّبَيْرُ وَقَالَ: فَهَلْ نُعِينُهُمْ عَلَى أَمْرٍ إِنِ اسْتَعَانُوا بِنَا؟ فَنَزَلَ وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ.(2)

فهذه الآية نزلت في الذين لَمْ يُهَاجِرُوا مَعَ رَسُولِ اللَّه ﷺ وقال فيهم الله عزوجل "مَا لَكُمْ مِنْ وَلايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهاجِرُوا" ومع ذلك فقد أوجب الله تعالى على المسلمين المهاجرين نصرهم، وعدم خذلانهم رغم عدم هجرتهم،

(1) من سورة الأنفال:٧٢

(2) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١٥/ ٥١٧).

وكلنا يعرف قيمة الهجرة في ذلك الوقت، فالذين لم يهاجروا من الصحابة في هذا الوقت ولم يكن لهم عذر يمنعهم فهم تاركون لواجب وواقعون في ذنب عظيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(١).

ومع عظم ذنبهم فهم مسلمون على كل حال، ولذا أوجب الله على المسلمين نصرهم كما بينت الآية الكريمة، فما بالنا ببقية المسلمين؟.

وفي الحديث الذي يرويه سَالِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ، مَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللهُ عَنْهُ بِهَا كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٢)

قَالَ ابْن بطال: "نصر الْمَظْلُوم فرض كِفَايَة وتتعين فرضيته على السُّلْطَان". وقال العيني: الْوُجُوب والاستحباب بِحَسب اخْتِلَاف الْأَحْوَال(٣).

وعن الْبَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ – رضي الله عنهما–، قَالَ: " أَمَرَنَا النَّبِيُّ ﷺ بِسَبْعٍ، وَنَهَانَا عَنْ سَبْعٍ فَذَكَرَ: عِيَادَةَ المَرِيضِ، وَاتِّبَاعَ الجَنَائِزِ، وَتَشْمِيتَ العَاطِسِ، وَرَدَّ السَّلاَمِ، وَنَصْرَ المَظْلُومِ، وَإِجَابَةَ الدَّاعِي، وَإِبْرَارَ المُقْسِمِ "(٤).

---

(١) من سورة النساء:٩٧

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: المظالم والغصب، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ، ٣/ ١٢٨/ح٢٤٤٢). **ومسلم في صحيحه:**(كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، / ١٩٩٦/ح٢٥٨٠).

(٣) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (١٢/ ٢٨٩).

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: المظالم والغصب، باب: نصر المظلوم، ٣/١٢٩/٢٤٤٥). **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: اللباس والزينة، بَابُ تَحْرِيمِ اسْتِعْمَالِ إِنَاءِ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ عَلَى الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ، ٣/ ١٦٣٥/ح٢٠٦٦). **والنسائي في سننه الصغرى:** (كِتَابُ الْجَنَائِزِ، باب: اتباع الجنائز،٤/ ٥٤/ح١٩٣٩).

قال ابن حجر معلقا على الحديث: " وَمعنى لَا يُسْلِمُهُ أَيْ لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيهِ، ولَا فِيمَا يُؤْذِيهِ، بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ، وَهَذَا أَخَصُّ مِنْ تَرْكِ الظُّلْمِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ وَاجِبًا، وَقَدْ يَكُونُ مَنْدُوبًا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ"(١).

"وَقَال في موضع آخر وهو فرض كفاية، هُوَ عَامٌّ فِي الْمَظْلُومِينَ وَكَذَلِكَ فِي النَّاصِرِينَ بِنَاءً عَلَى أَنَّ فَرْضَ الْكِفَايَةِ مُخَاطَبٌ بِهِ الْجَمِيعُ وَهُوَ الرَّاجِحُ، وَيَتَعَيَّنُ أَحْيَانًا عَلَى مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى إِنْكَارِهِ مَفْسَدَةٌ أَشَدُّ مِنْ مَفْسَدَةِ الْمُنْكَرِ، فَلَوْ عَلِمَ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ سَقَطَ الْوُجُوبُ، وَبَقِيَ أَصْلُ الِاسْتِحْبَابِ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ فَلَوْ تَسَاوَتِ الْمَفْسَدَتَانِ تَخَيَّرَ(٢).

ومما هو مفهوم من الآيات الكريمات، وجملة الأحاديث والآثار المذكورة، وما علق به علماؤنا عليها يتبين لنا أمران :

الأول: أن حكم النصرة فرض على الكفاية لجميع المسلمين، وفرض عين على من له القدرة على دفع الظلم، إلا إذا ترتب على دفعه مفسدة أشد، فنصرة المستضعفين من أهل الإسلام؛ واجب شرعي على كل مسلم مكلف، ويتفاوت هذا الواجب بين مكلف وآخر بناء على تفاوت مقدرته واستطاعته.

الثاني: أن أولى الناس بالنصرة هو المظلوم نفسه فأوجب له الشرع أن ينتصر لنفسه ممن ظلمها أو اعتدى عليها، بل ورخص له ما لا يحبه سبحانه وهو الجهر بالسوء من القول كما بينت الآيات، والآثار.

ومن العجب أن نرى أهل الباطل ينصرون بعضهم بعض، ويضحون من أجل باطلهم، ينصرون بعضهم بالمال، وباللسان، وبشتى طرق النصرة، بل ويصبرون بعضهم البعض وهم على الباطل.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٩٧).
(٢) المصدر السابق.

فانظر إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ...﴾[1] أي ليصدوا عن دين الله.

وقوله ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُواْ وَٱصْبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[2] أي يقول بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ أَيْ اثْبُتُوا عَلَى عِبَادَةِ آلهتكم[3].

ويقول الشاعر الجاهلي:

وهل أنا إلا مِنْ غزية إن غَوت * غَويتُ وإن ترشد غزية أرشد[4]**

المبحث الثالث: لمن تكون النصرة؟

قد أجاب النبي ﷺ عن هذا السؤال في حديثه الذي أخرجه البخاري في صحيحه عن أَنَسٍ– رضي الله عنه– قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «انْصُرْ أَخَاكَ ظَالِمًا أَوْ مَظْلُومًا» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَنْصُرُهُ إِذَا كَانَ مَظْلُومًا، أَفَرَأَيْتَ إِذَا كَانَ ظَالِمًا كَيْفَ أَنْصُرُهُ؟ قَالَ: « تَحْجُزُهُ، أَوْ تَمْنَعُهُ، مِنَ الظُّلْمِ فَإِنَّ ذَلِكَ نَصْرُهُ»[5].

ومفهوم الحديث أن النصرة لا تقتصر على المظلومين، بل تتعدى إلى الظالمين أيضًا، ولكن النصرة لهم في ديننا الحنيف على وجهها الصحيح، وهي بكفهم عن الظلم، فإن النصرة تكون لهم بمنعهم عن الظلم، ونصرهم على

(١) من سور الأنفال:٣٦

(٢) من سورة ص:٦

(٣) تفسير البغوي – إحياء التراث (٤/ ٥٤).

(٤) البيت للشاعر دريد بن الصمة.(الشعر والشعراء :٢/ ٧٣٨).

(٥) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب الإكراه، ٩/ ٢٢/ح٦٩٥٢). **والترمذي في سننه** (أبواب الفتن، ٤/ ٩٣/ح٢٢٥٥).

الهوى، والشيطان، وتكون للمظلومين برد الظلم ودفعهم عنهم بشتى الطرق كل على قدر استطاعته.

المبحث الرابع: كيف نكون أهلا للنصرة؟

قد يظن البعض أنه إن لم ينصر المظلوم لن يُنصر، كلا والله، فلقد أخذ الله عزوجل العهد على نفسه بنصرة المظلوم، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(١) والنصير هو المعين الذي ينصر عباده، ويجعل لهم الغلبة والفوز على أعدائهم.

وقد جعل الله هذه النصرة سنته في الكون، إما عاجلا في الدنيا، أو آجلا في الآخرة، وعدم تحققها في الدنيا ليس حرمان منها، أو منقصة لصاحبها – لا سمح الله – بل لأن العدل المطلق مكانه الآخرة وليس الدنيا، فليس شرطا أن تتحقق النصرة للمستضعفين في الدنيا، فقد تكون النصرة مؤخرة إلى يوم القيامة قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾(٢).

وقال سبحانه:﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔاۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾(٣).

ويحرم على المسلمين اليأس أو القنوط من نصر الله تعالى للمستضعفين عند نزول المصائب والبلايا بهم، لما يترتب على ذلك من خور الأمة وضعفها، والواجب؛ الإستبشار بوعد الله، والسعي وبذل الأسباب لنصرتهم.

(١) من سورة الأنفال:٤٠.

(٢) من سورة النحل:٦١.

(٣) من سورة الأنبياء:٤٧.

كما أن الله تعالى قد يؤخر نصرتهم لأسباب منها:

- أنه قد يكون ذلك منه استدراجًا للظالم، يقول الرسول الكريم" عَنْ أَبِي مُوسَى – رضي الله عنه–، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ: ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾(1).
- وقد يكون التأخير منه سبحانه من باب الابتلاء والاختبار ليميز الخبيث من الطيب، وهذه طبيعة الدنيا فهي ميدان للشدائد والاختبار ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ﴾(2)

فتأخير النصرة من الله عزوجل اختبارًا لمن قام بالظلم، ولمن وقع عليه الظلم، ولمن شاهد الظلم الواقع على المظلومين.

ونصرة المظلوم من شيم الفطرة قبل أن تكون واجب شرعي، وخلق نبوي.

وسوف أدلل على ذلك بنموذجين وقعا في الجاهلية.

الأول: حلف الفضول:

وهو الحلف الذي عقد في الجاهلية بين بعض قبائل قريش، وكان ينص على حماية حقوق الضعفاء والمظلومين، وحمايتهم من الطغيان، فقد أخذ كل من حضر هذا الحلف العهد على نفسه أن يكون مع المظلومين وليردّنّ عنهم كل ضروب الاضطهاد على اختلافها.

وقالوا أن سببه أن رجلا من زبيدة قدم مكة ببضاعة، فاشتراها منه العاصي بن وائل، فحبس عنه حقه، فاستعدى عليه بنى عبد الدار، ومخزوما وجمح،

---

(1) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، ٦/ ٧٤/ح٤٦٨٦) والآية من سورة هود: ١٠٢، **والنسائي في السنن الكبرى** (كتاب: التفسير، سورة هود، ١٠/ ١٢٩/ح١١١٨١).

(2) من سورة العنكبوت:٢.

وغيرهم، فلما رأى الرجل أن حقه ضائع، وبدا القعود فيمن استعان بهم علا جبل أبى قبيس عند طلوع الشمس، وقريش فى أنديتهم حول الكعبة المشرفة فنادى بأعلى صوته منشدا:

يا ال فهر لمظلـــوم بضاعتـــه * ببطن مكة نائى الـــدار والنفـــــر**

ومحرم أشعث لم يقض عمرته * يا للرجال، وبين الحجـــر والحجر**

إن الحرام لمن تمت كرامتـــه * ولا حرام لثوب التاجـــر الغـــــدر**

فالرجل يثير فيهم الحمية بذكر الظلم الواقع عليه، وأنه واقع ببطن أرض الله، وبجوار البيت المقدس الذى لا تخطف فيه الأموال وتضيع الحقوق، وأن الظلم بين الحجر، وبين الحجر الأسود الذى يقدسونه، ويشير إلى أنه محرم للعمرة....

كان أول من استجاب لنداء الله، وتقدم لإغاثته بنو عبد المطلب، فقام فى ذلك الزبير بن عبد المطلب، وقال: ما لهذا مترك أى لا يصح أن يترك.

وقد حضره النبي ﷺ وكان يقول: «ما أحبّ أنّ لي بحلف حضرته في دار ابن جدعان حمر النّعم ولو دعيت به لأجبت»[1] .

النموذج الثاني: نقض صحيفة المقاطعة:

وذلك حين اجتمعت قريش، وائتمروا بينهم أن يكتبوا كتابا يتعاقدون فيه على بني هاشم وبني المطلب، على ألّا ينكحوا إليهم، ولا ينكحوهم، ولا يبيعونهم شيئا، ولا يبتاعوا منهم، فلمّا اجتمعوا لذلك، كتبوه في صحيفة، ثم تعاهدوا، وتواثقوا على ذلك، وعلّقوا الصحيفة في جوف الكعبة، توكيدا على أنفسهم.

وأقام بنو هاشم على ذلك حتّى جهدوا من ضيق الحصار، وأكلوا ورق السّمر، وأطفالهم يتضاغون من الجوع، حتّى يسمع بكاؤهم من بعيد، وقريش تحول بينهم وبين التجار، فيزيدون عليهم في السّلعة أضعافا، حتّى لا يشتروها.

---

(١) خاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم (١/ ١٣٥).

ومكثوا على ذلك نحو ثلاث سنوات، لا يصل إليهم شيء إلا سرّا، ممن أراد صلتهم من قريش، ورسول الله ﷺ على ذلك يدعو قومه ليلا ونهارا، وسرّا وجهارا، وبنو هاشم صابرون محتسبون.

فقام نفر من قريش، من أهل المروءة والضّمائر، في مقدّمتهم هشام بن عمرو بن ربيعة، فكرهوا هذا التعاقد الظالم، وعافته نفوسهم، وكان هشام رجلا واصلا، وكان ذا شرف في قومه، فمشى إلى رجال من قريش، أنس فيهم الرقة والرجولة، فاستثار حميتهم وإنسانيتهم لنقض الصحيفة والخروج من هذا التعاقد الظالم، ولمّا كانوا خمسة اجتمعوا وتعاقدوا على نقض الصحيفة.

فلمّا كانت قريش في أنديتها من غد، قام زهير بن أبي أميّة، وكانت أمّه «عاتكة» بنت عبد المطلب، وأقبل على الناس، قال: يا أهل مكّة! أنأكل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم هلكى، لا يباع لهم ولا يبتاع منهم؟! والله لا أقعد حتى تشقّ هذه الصحيفة الظالمة.

وتدخّل أبو جهل في الحديث، فلم يفد، وقام المطعم بن عدي إلى الصحيفة ليشقّها، فوجد الأرضة قد أكلتها إلّا «باسمك اللهم» وكان النبيّ ﷺ قد أخبر بذلك أبا طالب، ومزقت الصحيفة وبطل ما فيها(١).

فكان ذلك منهم لنصرة للمظلومين، هذا وهم أهل جاهلية وكفر.

أما أن نكون أهلا للنصرة فلهذا شروط وهي:

إن النصرة بابًا من أبواب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولذا فشرطها الأول هي شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتي من أهمها:

الشرط الأول: الإيمان:

وهو أول شروط نصرة المظلوم فالمؤمن وحده هو الملزم بهذا الواجب العظيم، وقد أشار الإمام الغزالي – رحمه الله – إلى سبب اشتراطه لهذا الشرط

---

(١) السيرة النبوية لأبي الحسن الندوي (ص: ٢٠٥).

في الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر فقال: "لأن هذا نصرة للدين، فكيف يكون من أهله من هو جاحد لأصل الدين وعدو له"[(١)].

- أما نصرة غير المسلمين للمسلمين، فليست ملزمة لهم، وإن فعلوها للمستضعفين من المسلمين فلهم ثوابها في الدنيا، أما في الآخرة فلا ثواب لهم قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾[(٢)].
- ونصرة المسلمين للمستضعفين من غير المسلمين فهي جائزة، وقد تكون واجبة أيضًا يقول الله تعالى :﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[(٣)].

"وَالْمَعْنَى لَا يَحْمِلَنَّكُمْ بُغْضُ قَوْمٍ عَلَى أَنْ تَجُورُوا عَلَيْهِمْ وَتُجَاوِزُوا الحد فيهم، بل اعدلوا فيهم وإن أساؤوا عليكم، وَأَحْسِنُوا إِلَيْهِمْ وَإِنْ بَالَغُوا فِي إِيحَاشِكُمْ، فَهَذَا خِطَابٌ عَامٌّ، وَمَعْنَاهُ أَمَرَ اللَّه تَعَالَى جَمِيعَ الْخَلْقِ بِأَنْ لَا يُعَامِلُوا أَحَدًا إِلَّا عَلَى سَبِيلِ الْعَدْلِ وَالْإِنْصَافِ، وَتَرْكِ الْمَيْلِ وَالظُّلْمِ وَالِاعْتِسَافِ[(٤)].

ففي الآية الكريمة الحث على العدل مع الكفار، والعدل معهم أقرب للتقوى، ولا شك أن نصرتهم على من ظلمهم - إن كان في الإمكان- هي من تمام العدل لهم.

وقد أوجب الإسلام نصرتهم على من ظلمهم ولو كان الظالم لهم مسلمًا.

الشرط الثاني: العدالة:

من آكد شروط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شرط العدالة، وهو أيضًا من شروط النصرة، اشترطه بعض الفقهاء محتجين بقوله تعالى: ﴿أَتَأۡمُرُونَ

(١) إحياء علوم الدين (٢/ ٣١٢) .
(٢) من سورة الفرقان:٢٣.
(٣) من سورة المائدة:٨.
(٤) تفسير الرازي = مفاتيح الغيب أو التفسير الكبير (١١/ ٣٢٠).

ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (١) وبقوله تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (٢)

والراجح عدم اشتراطه، يقول الإمام الغزالي: " وإنما الحق أن للفاسق أن يحتسب، وبرهانه هو أن نقول هل يشترط في الاحتساب أن يكون متعاطيه معصوما عن المعاصي كلها؟، فإن شرط ذلك فهو خرق للإجماع ثم حسم لباب"(٣).

ولذا فإن نصرة الدين، ونصرة المظلوم قد تتأتى من العاص رغم عصيانه، بل وفجوره، قال رسول الله ﷺ «إِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ الجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، وَإِنَّ اللَّهَ لَيُؤَيِّدُ هَذَا الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ»(٤).

الشرط الثالث: الإذن:

يشترط بعض الفقهاء فيمن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر أن يأذن الإمام أو الحاكم له بذلك، وحجتهم أن الإمام أو الحاكم يستطيع اختيار من يحسن القيام بهذه الوظيفة، وأن تركها إلى الأفراد دون قيد أو شرط يؤدي إلى الفساد والفتن. ولكن جمهرة الفقهاء على خلاف هذا الرأي لا يشترطون ذلك، وقالوا إن الذين يشترطون يقصدون تنظيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يقصدون تحريمهما على من لم يؤذن له(٥).

---

(١) من سورة البقرة: ٤٤.

(٢) من سورة الصف:٣.

(٣) إحياء علوم الدين: (كتاب: الأمر بالمعرف والنهي عن المنكر، ٣١٢/٢).

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: إِنَّ اللَّهَ يُؤَيِّدُ الدِّينَ بِالرَّجُلِ الفَاجِرِ، ٧٢/٤/ح٣٠٦٢)، **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: الإيمان، بَابُ: غِلَظِ تَحْرِيمِ قَتْلِ الْإِنْسَانِ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ عُذِّبَ بِهِ فِي النَّارِ، وَأَنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ، ١/ ١٠٥/ح١١١).

(٥) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ضوء كتاب الله (ص: ٧٣) بتصرف.

قلت: وكذلك النصرة تحتاج إلى الإذن من الحاكم، حتي يبين للناس وجه الظلم، وكيف يتم دفعه؟، لأنه إن ترك للناس عامة دون تنظيم ربما أدى إلى الفتن والمفاسد، ولذا وجب تنظيمه إن كان الظلم واقع على بلدة، أو جمع من الناس، أما في حال النصرة لفرد، وقد تحقق عندي وقوع الظلم عليه، وأمكن دفع هذا الظلم عنه دون وقوع أضرار علي أو عليه فلا يحتاج إلى إذن أو تنظيم.

الشرط الرابع: التكليف:

يشترط لوجوب النصرة أن يكون الإنسان مكلفا بحكم الشريعة فإن غير المكلف لا يلزمه أمر، ولكن لا يمنع غير المكلف منها إن قدر عليها كصلاة الصغير وصومه، بل وتعد كنوع من التربية له، وتعويده حتى تصير خلقا وسجية له في كبره فلا يألف الظلم، ولا يستسيغ الخذلان.

الشرط الخامس: القدرة:

من شروط النصرة أيضا القدرة عليها، فإن كان عاجزا فلا وجوب عليه إلا بقلبه، أي عليه أن ينكر هذا الظلم ويبغض فاعله، ويأتي من وسائل النصرة –التي سيأتي بيانها– ما يستطيعه.

قال رسول الله ﷺ: "مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[(١)].

وَقَال ابن حجر: "وَتَتَعَيَّنُ النصرة أَحْيَانًا عَلَى مَنْ لَهُ الْقُدْرَةُ عَلَيْهِ وَحْدَهُ إِذَا لَمْ يَتَرَتَّبْ عَلَى إِنْكَارِهِ مَفْسَدَةٌ أَشَدُّ مِنْ مَفْسَدَةِ الْمُنْكَرِ، فَلَوْ عَلِمَ أَوْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ أَنَّهُ لَا يُفِيدُ سَقَطَ الْوُجُوبُ، وَبَقِيَ أَصْلُ الِاسْتِحْبَابِ بِالشَّرْطِ الْمَذْكُورِ فَلَوْ تَسَاوَتِ الْمَفْسَدَتَانِ تَخَيَّرَ"[(٢)].

---

(١)**أخرجه مسلم في صحيحه:** (كتاب: الإيمان، بَابُ: بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، ١/ ٦٩/ح٧٨). **وابن ماجه في سننه:** (كتاب: الفتن، بَابُ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ٢/ ١٣٣٠/ح٤٠١٣)، **وأحمد في مسنده:** (١٨/ ٤٢/ح١١٤٦٠).

(٢) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٩٩).

الشرط السادس: أَنْ يَكُونَ النَّاصِرِ عَالِمًا بِكَوْنِ الْفِعْلِ ظُلْمًا:

وقد ذكر هذا الشرط الحافظ ابن حجر فقال: "وَشَرْطُ النَّاصِرِ أَنْ يَكُونَ عَالِمًا بِكَوْنِ الْفِعْلِ ظُلْمًا"(١).

أي لابد من التثبت من وقوع الظلم بالفعل، أو توقع وقوعه، فلا يكتفى بمجرد إخبار من يدعي أنه مظلوم له، فقد يكون ادعاءا منه على من يتهمه بالظلم، وما أكثره، وقد يكون ظلما في الظاهر، وهو ليس كذلك بأن يكون أخذ لحق سلب منه، أو ردا لمالا سرق منه، أو دارا أخذت غصبا عنه، فلابد من التثبت من وقوع الظلم، وعدم الاكتفاء بالادعاء بلا بينة ظاهرة.

الشرط السابع : نبذ الخلافات، والعصبية

وحتى نكون أهلا لنصرة، وواحد من آكد شروطها هو نبذ الخلافات التي من شأنها أن توهن الصف، وتضيع حقوق المظلومين، والبعد عن التعصب لأرض كان، أو عرق أو حزب أو جماعة، لأن المتعصب لا ينصر إلا من يهمه أمره في حق كان أو باطل.

كما أن الخلافات والعصبية لا تجر على الفرد والمجتمع إلا الحقد والكراهية، والقطيعة، فيقع بسبب ذلك الوهن والتفكك في جسد الأمة الإسلامية، فتطمع فيها الأمم بسبب ضعفها وتمزقها وتشرذمها.

وما هذه الخلافات إلا بعض خطط الأعداء الذين لا يألون جهدا في إثارة النزاعات والقلاقل بين أفراد المجتمع الواحد، لأنهم يدركون أن هذا الطريق هو السبيل الوحيد لتمزق المسلمين وضعفهم، وواقع الأمة، وما يحدث في بلادنا العربية المسلمة خير شاهد ودليل على ذلك.

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٥/ ٩٩).

وقد نهانا الإسلام عن التعصب لأي رابطة غير رابطة الدين، بل واعتبر التعصب لغير الدين دعوى جاهلية قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ : «مَنْ قُتِلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ[1]، يَدْعُو عَصَبِيَّةً، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبِيَّةً، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»"[2].

ثم إن المظلوم وحده هم من يتحمل عقبات هذه الخلافات، والعصبية.

فينبغي نصرة المظلوم كائنا من كان، ونبذ كل الخلافات التي تحول دون نصرته، ودفع الظلم عنه، والعمل على تأليف قلوب المسلمين، ودحر مخطط أعداءهم.

المبحث الخامس: وسائل النصرة:

إنه من الواجب كما علمنا على كل مسلم أن ينصر أخاه حسب اجتهاده، وقدرته، يقول تعالى:﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ ﴾[3].

ولذا فإن وسائل النصرة متعددة، من استطاع منها واحدا فليفعله، ومن استطاع بعضها فليقم به، ومن استطاعها جميعا ليؤدي منها الأنفع والأحسن، فكل بما يستطيع، ولن يكلف الله نفسا إلا وسعها.

---

(١) تحت راية عمية: أي تحت راية لا لون لها، ولا يستبين أمرها، ولا يرى وجهها، فكأن من تحتها أعمى، ونسب العمى إليها مجازا.
يغضب لعصبة، أو يدعو إلى عصبة، أو ينصر عصبة: أي يقاتل عصبية لقومه وهواه، ومعناها أنه يقاتل لشهوة نفسه، وغضبه لها.
فقتلة جاهلية:، أي فقتلته كهيئة قتلة جاهلية. (فتح المنعم شرح صحيح مسلم (٧/ ٤٧٥).

(٢) **أخرجه مسلم في صحيحه**: (كتاب: الإمارة، بَابُ: الْأَمْرِ بِلُزُومِ الْجَمَاعَةِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفِتَنِ وتحذير الدعاة إلى الكفر،٣/ ١٤٧٨/ح١٨٥٠) عَنْ جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ الله الْبَجَلِيِّ، **والنسائي في السنن الكبرى** (كتاب: المحاربة، التَّغْلِيظُ فِيمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عُمِّيَّةٍ،٣/ ٤٦٢/ح٣٥٦٧).

(٣) من سورة التغابن:١٦.

والنصرة له ميادين شتى، ووسائل متعددة من أهمها:

النصرة بالنفس:

وهي أعظم النصرة، وأنْفسِها، فليس على الإنسان أغلى من نفسه ليبذلها في سبيل نصرة المظلوم، قال تعالى ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ﴾(١)، بشرط أن يقدر عليها، بمعنى أن يكون عنده من القوة ما تمكنه من ذلك، وإلا فسوف يكون ذلك منه إلقاء لنفسه في التهلكة، ولا يتحقق الغرض المنشود وهو نصرة المظلوم، ورد حقه.

ومن أروع الأمثلة على النصرة بالنفس ما كان من النبي ﷺ مع عمرو بن سالم الخزاعي، فعَنْ مَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ، وَالْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ، قَالَا: كَانَ فِي صُلْحِ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ بَيْنَهُ وَبَيْنَ قُرَيْشٍ أَنَّهُ مَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ دَخَلَ، وَمَنْ شَاءَ أَنْ يَدْخُلَ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ دَخَلَ، فَتَوَاثَبُوا خُزَاعَةُ فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ مُحَمَّدٍ وَعَهْدِهِ، وَتَوَاثَبَتْ بَنُو بَكْرٍ فَقَالُوا: نَحْنُ نَدْخُلُ فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ. فَمَكَثُوا فِي تِلْكَ الْهُدْنَةِ نَحْوَ السَّبْعَةَ أَوِ الثَّمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْرًا، ثُمَّ إِنَّ بَنِي بَكْرٍ الَّذِينَ كَانُوا دَخَلُوا فِي عَقْدِ قُرَيْشٍ وَعَهْدِهِمْ وَثَبُوا عَلَى خُزَاعَةَ الَّذِينَ دَخَلُوا فِي عَقْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ وَعَهْدِهِ لَيْلًا بِمَاءٍ لَهُمْ يُقَالُ لَهُ الْوَتِيرُ قَرِيبٍ مِنْ مَكَّةَ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا يَعْلَمُ بِنَا مُحَمَّدٌ، وَهَذَا اللَّيْلُ وَمَا يَرَانَا أَحَدٌ. فَأَعَانُوهُمْ عَلَيْهِمْ بِالْكُرَاعِ(٢) وَالسِّلَاحِ، فَقَاتَلُوهُمْ مَعَهُمْ لِلضَّغْنِ (٣)

(١) من سورة الأنفال:٧٢

(٢) الكُرَاعَ: اسْم يجمع أَنْوَاع الْخَيل، حمل على فرس فِي سَبِيل الله، أَي وَقفه على الْمُجَاهدين. (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٤٤)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ١٦٥).

(٣) الضِّغْن: الحِقْد والعَدَاوة والبَغْضَاء، وكَذَلِكَ الضَّغِينَة، وجَمْعُها الضَّغَائِن. (النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٩١).

عَلَى رَسُولِ اللهِﷺ، وَإِنَّ عَمْرَو بْنَ سَالِمٍ رَكِبَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ عِنْدَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ خُزَاعَةَ وَبَنِي بَكْرٍ بِالْوَتِيرِ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ يُخْبِرُهُ الْخَبَرَ وَقَدْ قَالَ أَبْيَاتَ شِعْرٍ، فَلَمَّا قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنْشَدَهُ إِيَّاهَا:

اللهُمَّ إِنِّي نَاشِدٌ مُحَمَّدَا * حِلْفَ أَبِينَا وَأَبِيهِ الْأَتْلَدَا**

كُنَّا وَالِدًا وكُنْتَ وَلَدَا * ثُمَّتْ أَسْلَمْنَا وَلَمْ نَنْزِعْ يَدَا**

فَانْصُرْ رَسُولَ اللهِ نَصْرًا عَتِدَا * وَادْعُوا عِبَادَ اللهِ يَأْتُوا مَدَدَا**

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " نُصِرْتَ يَا عَمْرُو بْنَ سَالِمٍ"(١).

وكان ذلك سببً لفتح مكة.

النصرة بالمال:

قد أثنى الله سبحانه وتعالى على الأنصار، الذين آووا ونصروا، أثنى الله عليهم لأنهم قدموا لإخوانهم المهاجرين وبذلوا من أجلهم ما بذلوه من النصرة بشتى السبل والطرق، فاستحقوا بذلك مدح الله لهم في كتابه بقرآن يتلى فيهم ويُعلِي قدرهم إلى يوم القيامة.

ومن ذلك ما أخرجه البخاري في صحيحه: عَنْ أَنَسٍ - **رضي الله عنه**-، قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ - **رضي الله عنه**- المَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الأَنْصَارِيِّ- **رضي الله عنه**- فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ: عَبْدُ الرَّحْمَنِ بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ،

(١) أخرجه أبو نعيم في معرفة الصحابة :(٤/ ٢٠١٢/ح٥٠٦٠) والبيهقي في السنن الكبرى: (كتاب: الجزية، بَابُ نَقْضِ أَهْلِ الْعَهْدَ أَوْ بَعْضِهِمُ الْعَهْدَ، ٩/ ٣٩٠/ ح١٨٨٥٩). **قلت:** والحديث صحيح رجال إسناده ثقات، وفيه محمد بن إسحاق بن يسار المطلبي، ثقةٌ مدلِّس، وقد صرح بالتحديث عن شيخه الزهري في إسناد أبي نعيم والبيهقي .

فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ[١] وَسَمْنٍ، فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ، بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ[٢] مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ«مَهْيَمْ [٣] يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قَالَ: «فَمَا سُقْتَ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» [٤].

وغيرها من النماذج النبيلة والأخلاق السامية والنصرة بالمال في أروع صورها التي تجسدت في الأنصار، ومن قبلهم المهاجرين الذين بذلوا من أجل نصرة دينهم والفرار به جُل أموالهم، وتَرك ديارهم، وتجارتهم، وقبل كل ذلك موطنهم، وعشيرتهم، فما أجملها من نصرة، وما أنفسها من تضحية.

ومن النصرة بالمال؛ ما كان من الصديق – رضي الله عنه– فقد بذل ماله كله نصرة لله ولرسوله، فعَنْ أَسْلَمَ، قَالَ: سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ– رضي الله عنه–، يَقُولُ: أَمَرَنَا رَسُولُ الله ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا، قَالَ: فَجِئْتُ بِنِصْفِ مَالِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قُلْتُ: مِثْلَهُ، وَأَتَى أَبُو بَكْرٍ بِكُلِّ مَا عِنْدَهُ،

---

(١) الْأَقِطِ: هُوَ لَبَنٌ مُجَفف يَابِسٌ مُسْتَحْجِر يُطْبَخُ بِهِ. (النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٥٧).

(٢) وضر: أَي لطخ من خلوق اَوْ طيب لَهُ لون وَكَانَ ذَلِك من فعل الْعَرُوس إِذا بنى بأَهْله وَيكون الوضر من الصُّفْرَة والحمرة. (تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٢٥١).

(٣) مَهيم: كَقَوْلك: مَا وَرَاءَك وَهِي كلمة يَمَانِية.(الفائق في غريب الحديث (٤/ ٦٥).

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب: مناقب الأنصار، ٥/ ٦٩/ح٣٩٢٧) **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: النكاح، بَابُ: الصَّدَاق،٢/ ١٠٤٢/ح١٤٢٧) **وأبو داود في سننه:** (كتاب: النكاح، بَابُ قِلَّةِ الْمَهْرِ،٢/ ٢٣٥/ح٢١٠٩)، **والترمذي في سننه:**(أبواب: النكاح، بَابُ مَا جَاءَ فِي الوَلِيمَةِ، ٢/ ٣٩٣/ح١٠٩٤).

فَقَالَ: يَا أَبَا بَكْرٍ مَا أَبْقَيْتَ لأَهْلِكَ؟ قَالَ: أَبْقَيْتُ لَهُمُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قُلْتُ: لاَ أَسْبِقُهُ إِلَى شَيْءٍ أَبَدًا(١).

ولذا قَالَ عنه النَّبِيُّ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ بَعَثَنِي إِلَيْكُمْ فَقُلْتُمْ كَذَبْتَ، وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ صَدَقَ، وَوَاسَانِي بِنَفْسِهِ وَمَالِهِ، فَهَلْ أَنْتُمْ تَارِكُوا لِي صَاحِبِي»(٢).

والنماذج في ذلك أكثر من أن تحصى أو تعد، فقد ضرب لنا المسلمون الأوائل أروع الأمثلة وأشرفها في النصرة بشتى صورها.

أحسن وأنت معان يا أيها الإنسان * إن الأيادي قروض كما تدين تدان**

النصرة بالقول:

إن بعض المسلمين لا يكون عنده مال ليبذله نصرة لأخيه، ولكن عنده رأي صائب، وقول سديد، وحكمة وتجربة ينتفع به المظلوم فتكون عونًا له على نفسه فيصبرها، ومعونة له على الظالم فيرد عنه خوفًا من افتضاح أمره.

ومن النصرة بالقول كل ما يكتب أو يقال في سبيل نصرة المظلوم، وإظهار مظلمته، وبيانها للسلطان وللناس.

وكذلك كل ما يمكن التواصل من خلاله مع الآخرين مثل وسائل الإعلام المختلفة المرئية والمسموعة منها، ولا يحقرن أحد هذا النوع من النصرة قائلًا: وما الفائدة من الكلام والبيان، وما الذي يعود على المظلوم منه؟

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه (كتاب: الزكاة، بَابُ: الرخصة في إخراج الرجل من ماله، ٢/١٢٩/ح١٦٧٨) **والترمذي في سنه:** (أبواب: المناقب، ٦/ ٥٦/ح٣٦٧٥). وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه:(كتاب أصحاب النبي ﷺ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا»،٥/ ٥/ح٣٦٦١)، **والطحاوي** في شرح مشكل الآثار (بَابٌ بَيَانُ مُشْكِلِ مَا رُوِيَ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي ذِكْرِ الْفَخِذِ هَلْ هُوَ مِنَ الْعَوْرَةِ أَمْ لَا؟،٤/ ٤١٠/ح١٧٠٩).

نقول لهم ليس أدل على أهمية النصرة بالقول وأنها تؤتي ثمارها ما روته أم المؤمنين عَائِشَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ لحسان: «اهْجُوا قُرَيْشًا، فَإِنَّهُ أَشَدُّ عَلَيْهَا مِنْ رَشْقٍ بِالنَّبْلِ».

وقَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ لِحَسَّانَ: «إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ لَا يَزَالُ يُؤَيِّدُكَ، مَا نَافَحْتَ عَنِ اللهِ وَرَسُولِهِ»، وَقَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «هَجَاهُمْ حَسَّانُ فَشَفَى وَاشْتَفَى»

وكان مما قَالَ حَسَّانُ:

فَمَنْ يَهْجُو رَسُولَ اللهِ مِنْكُمْ * وَيَمْدَحُــهُ وَيَنْصُــرُهُ سَــوَاءُ**

وَجِبْرِيلٌ رَسُــولُ اللهِ فِينَــا * وَرُوحُ الْقُدُسِ لَيْسَ لَهُ كِفَاءُ**(١)

وغيرها الكثير والكثير من صور النصرة بالقول، وعظم تأثيرها على الظالمين، وتثبيتها للمظلومين.

ومن النصرة بالقول أيضًا التواصل بيننا وبين المستضعفين، نصبرهم، ونهون عليهم، ونشعرهم أننا معهم بكل ما أوتينا من قوة، وقد تكرر ذكر هذا النوع من النصرة بالقول، وحث المظلومين على الصبر، وعدم اليأس، وعدم الاستسلام في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾(٢).

---

(١) **أخرجه مسلم في صحيحه:** (كتاب: الفضائل، بَابُ: فَضَائِلِ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رضي الله عنه،٤/ ١٩٣٥/ح (٢٤٩٠)، **وأحمد في مسنده:** (٤٠/ ٤٩٥/ح٢٤٤٣٧)، **وابن حبان في صحيحه:** (كِتَابُ: إِخْبَارِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ مناقب الصحابة رضي الله عنهم أجمعين،١٦/ ٩٧/ح٧١٤٧).

(٢) من سورة محمد:٣٥ .

وقال سبحانه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾(١) فما نزلت هذه الآيات إلا لتثبيت المسلمين، ونصرتهم، ورفع معنوياتهم، وتذكيرهم بأن النصرة لهم، وأن الله معهم، ولن يخذلهم.

ولما جاء خَبَّابُ بْنُ الأَرَتِّ– رضي الله عنه –، ومن معه يشكون إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا، أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟ قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(٢)

كذلك من صور النصرة بالقول؛

الحث على الثبات على الحق، وعدم الانحراف عنه تحت ضغط الظلم والاستبداد؛ لأن بعض الناس يقدمون تنازلات، ويرضخون، ويتراجعون، وربما حادوا عن الحق، فيكون بذلك قد خسر الدنيا والآخرة.

ألم تقرأ قَول مُوسَى لِقَوْمِهِ "﴿قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُواْ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓاْ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَـٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن

---

(١) من سورة آل عمران:٢٠٠

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: المناقب، بَابُ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ فِي الإِسْلاَمِ،٤/ ٢٠١/ح٣٦١٢) **والنسائي في السنن الكبرى:** (كتاب: العلم، الْغَضَبُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَالتَّعْلِيمِ إِذَا رَأَى الْعَالِمُ مَا يَكْرَهُ، ٥/ ٣٨٥/ح٥٨٦٢)، **وابن حبان في صحيحه:** (كتاب: الجنائز، ذِكْرُ الْخَبَرِ الدَّالِّ عَلَى أَنَّ عَلَى الْمَرْءِ التَّصَبُّرَ عِنْدَ كُلِّ مِحْنَةٍ يُمْتَحَنُ بِهَا وَإِنْ كَانَتْ تِلْكَ الْمِحْنَةُ شَيْئًا يَسِيرًا، ٧/ ١٥٦/ح٢٨٩٧).

تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ﴾(١).

ومن ذلك يتأكد لنا أن كل من يكتب كلمة يدافع بها عن المظلومين فهي لهم نصرة، وكل من ينشر مقطعا عن ظلم الظالمين فهي للمظلوم نصرة، وكل من قدم رأيا أو مشورة فهي لهم نصرة، وكل من صبرهم، وهون عليهم، وذكرهم بوعد الله عزوجل وثوابه الذي أعده للصابرين، وأن العاقبة للمتقين فهو لهم نصرة.

وليس من النصرة في شيء الصراخ والعويل على من قُتل ظلمًا، بل يجب الاستبشار، والفرح له بما أعد الله له من نزل الكرامة في الدار الآخرة، مع اليقين الجازم أن الغلبة ستكون للمظلومين، قال الله : ﴿ وَمَن قُتِلَ مَظۡلُومًا فَقَدۡ جَعَلۡنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلۡطَٰنًا فَلَا يُسۡرِف فِّي ٱلۡقَتۡلِۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾(٢).

وليس من النصرة كذلك بث صور التعذيب، ومشاهد القتل المُدمية التي قد تصيب الأمة بالخور والجبن، وربما أيقنت بالهزيمة والهلاك، فتضعف وتستسلم، فينبغي التيقظ لكل ذلك.

النصرة بالشفاعة:

إن الشفاعة هي السعي لقضاء لحوائج الناس، بإعطائهم حقوقهم، أو دفع مظلمة عنهم، فهي بذلك نوع من أنواع النصرة، وهل النصرة إلا الإعانة ودفع الظلم؟

وقد ورد هذا في القرآن الكريم الحديث على هذا النوع من النصرة، وبيان أجره وثوابه، قال تعالى: قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشۡفَعۡ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ

---

(١) من سورة الأعراف: الآيتان: ١٢٨ ،١٢٩

(٢) من سورة الإسراء:٣٣

نَصِيبٌ مِّنْهَاۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَاۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴾(١).

قال ابن القيم معلقا على الآية: "وكل من أعان غيره على أمر بقوله أو فعله فقد صار شفيعا له"(٢).

وقال ابن تيمية: "وفسرت الشفاعة الحسنة بشفاعة الإنسان للإنسان ليجتلب له نفعًا، أو يخلصه من بلاء" (٣).

وفي الصحيحين عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «المُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ، يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» ثُمَّ شَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ جَالِسًا، إِذْ جَاءَ رَجُلٌ يَسْأَلُ، أَوْ طَالِبُ حَاجَةٍ، أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «اشْفَعُوا فَلْتُؤْجَرُوا، وَلْيَقْضِ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ نَبِيِّهِ مَا شَاءَ»(٤).

فالشفاعة الحسنة أن تشفع له في استرداد حقه، أو ترفع عنه ظلماً، أو تخفف عنه عناء، أو تفرج عنه كرباً، أو تشفع له عند دائن، تخفف عنه الدين أو يسامح فيه، وهكذا. **وكل ذلك لأخيك نصرة.**

النصرة بالدعاء:

إن للدعاء شأنه عظيم، ترفع بها الشدائد، وتكشف بها الغمة، ودعوة المرء المسلم لأخيه بظهر الغيب مستجابة، والنصرة تكون إما بالدعاء للمظلوم، أو بالدعاء على من ظلمه، وكلاهما سنة عن الأنبياء والمرسلين، فقد دعا نوح على

---

(١) من سورة النساء:٨٥.

(٢) روضة المحبين ونزهة المشتاقين (ص: ٣٧٧).

(٣)الإيمان لابن تيمية (ص: ٥٦).

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الأدب، بَابُ: تَعَاوُنِ المُؤْمِنِينَ بَعْضِهِمْ بَعْضًا،٨/ ١٢/ح٦٠٢٦) **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ اسْتِحْبَابِ الشَّفَاعَةِ فِيمَا لَيْسَ بِحَرَامٍ، ٤/ ٢٠٢٦/ح٢٦٢٧).

الظالمين فقال: ﴿وَقَالَ نُوحُ رَّبِّ لَا تَذَرۡ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ۞إِنَّكَ إِن تَذَرۡهُمۡ يُضِلُّواْ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓاْ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(١).

وموسى عليه السلام دعا على فرعون من أجل المستضعفين المؤمنين من بني إسرائيل الذين كانوا معه، وقال: ﴿ رَبَّنَا ٱطۡمِسۡ عَلَىٰٓ أَمۡوَٰلِهِمۡ وَٱشۡدُدۡ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُواْ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾(٢).

ونبينا ﷺ دعا على قريش من أجل المستضعفين من المسلمين، فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ». ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، بل إنه قد سماهم في الدعاء فقال: «اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِأَبِي جَهْلٍ، وَعَلَيْكَ بِعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ» - وَعَدَّ السَّابِعَ فَلَمْ يَحْفَظْ -، قَالَ ابن مسعود: فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ الَّذِينَ عَدَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَرْعَى، فِي القَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ "(٣).

وكان النبي ﷺ يدعو أيضا للمستضعفين والمنكوبين حتى بأسمائهم، كان يقول «اللَّهُمَّ أَنْجِ عَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، اللَّهُمَّ أَنْجِ الوَلِيدَ بْنَ الوَلِيدِ، اللَّهُمَّ أَنْجِ سَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، اللَّهُمَّ أَنْجِ المُسْتَضْعَفِينَ مِنَ المُؤْمِنِينَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»(٤).

---

(١) من سورة نوح، الآيتان: ٢٦-٢٧.

(٢) من سورة يونس، من آية: ٨٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه: (كتاب: الصلاة، باب: المَرْأَةِ تَطْرَحُ عَنِ المُصَلِّي، شَيْئًا مِنَ الأَذَى، ١/ ١١٠/ح٥٢٠)، **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: الجهاد والسير، باب: بَابُ مَا لَقِيَ النَّبِيُّ ﷺ مِنْ أَذَى الْمُشْرِكِينَ وَالْمُنَافِقِينَ، ٣/ ١٤١٨/ح١٧٩٤).

(٤) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الدعوات، بَابُ الدُّعَاءِ عَلَى المُشْرِكِينَ،٨/ ٨٤/ح٦٣٩٣)، **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: المساجد، ومواضع الصلاة، بَابُ اسْتِحْبَابِ الْقُنُوتِ فِي جَمِيعِ الصَّلَاةِ إِذَا نَزَلَتْ بِالْمُسْلِمِينَ نَازِلَةٌ، ١/٤٦٧/ح٦٧٥).

فالدعاء سلاح من لا سلاح له، وقوة من لا قوة عنده، ونفوذ من لا نفوذ لديه، ودعاء الضعفاء لإخوانهم له شأن عظيم، ومظنة الإجابة للمستضعفين، فقد قال النبي ﷺ قال: «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ»[1].

وذلك لأن هؤلاء الضعفاء أشد الناس إخلاصاً، وأكثرهم خشوعاً، فقد خلت قلوبهم من التعلق بالدنيا وزخارفها، وصفت ضمائرهم مما يقطع عن الله، وأصبح ملاذهم الوحيد هو رب الأرباب، فزكت بذلك أعمالهم، وأجيبت دعواتهم.

النصرة بتخويف الظالم من عاقبة الظلم:

إن تخويف الظالم من عاقبة الظلم في الدنيا والآخرة من سبل النصرة للمظلومين، فربما ارتدع الظالم وعاد إلى الحق، وفاق من غفلته.

فربنا عزوجل لما أرسل موسى وهارون إلى فرعون الذي علا في الأرض وجعل أهلها شيعا، يستضفعهم ويذلهم أمرهما سبحانه بقوله: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾[2].

أمرهما الرفق واللين لمن هو مثل فرعون فما بالنا بغيره من الظلمة كفارا أو مسلمين؟

ولو عاد الظالم عن غيه وندم على ظلمه قبله ربه، قال الشاعر:

ولو أن فرعون لما طغى * وقال على الله إفكاً وزوراً**

أناب إلى الله مستغفــراً * لما وجــد الله إلا غفوراً**

وفي هذا نصرة المظلوم برجوع الظالم عن ظلمه بالنصح والإرشاد.

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الجهاد والسير، بَابُ: مَنِ اسْتَعَانَ بِالضُّعَفَاءِ وَالصَّالِحِينَ فِي الحَرْبِ، ٤/٣٦/ح٢٨٩٦)، **وأحمد في مسنده:** (٣/ ٨٦/ح١٤٩٣).

(٢) من سورة طه، آية :٤٤

النصرة للمظلومين بعدم إعانة الظالم أو الركون إليه، أو نفعه بأي شيء:

إن الله عزوجل قد حذرنا من الركون إلى الظالم، وموافقته في ظلمه، والرضا بما يصنع، وتقديم النفع له، بل وعد الإسلام هذا أمرا عظيماً؛ وعقوبته شديدة لأن الله قال في كتابه: ﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾(١).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ- رضي الله عنهمَا-: ولَا تَمِيلُوا، وَالرُّكُونُ: هُوَ الْمَحَبَّةُ وَالْمَيْلُ بِالْقَلْبِ، وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: لَا تَرْضَوْا بِأَعْمَالِهِمْ.

قَالَ السُّدِّيُّ: لَا تُدَاهِنُوا الظَّلَمَةَ، وعن عكرمة: لا تطيعوهم فيما يقولوه ويعملوه(٢).

وقَالَ مَيْمُونُ بْنُ مِهْرَانَ: «الظَّالِمُ، وَالْمُعِينُ عَلَى الظُّلْمِ، وَالْمُحِبُّ لَهُ سَوَاءٌ»(٣)

فإذا كان هذا الوعيد في حال الذين يركنون إلى الظلمة فكيف حال الظلمة أنفسهم؟.

ومن عقوبة إعانة الظالم عدم الورود على حوض المصطفى ﷺ فإنه قال: «إِنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ، فَلَا تُصَدِّقُوهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَلَا تُعِينُوهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ صَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ، وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، لَمْ يَرِدْ عَلَيَّ الْحَوْضَ»(٤).

---

(١) من سورة هود، آية: ١١٣

(٢) تفسير البغوي:(٢/ ٤٦٩).

(٣) مساوئ الأخلاق للخرائطي (ص: ٢٧٩).

(٤)**أخرجه الترمذي في سننه:** (أبواب: الفتن،٤/ ٩٥/ح٢٢٥٩) وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ، وله شاهد من حديث أبي حذيفة، **وأحمد في مسنده:** (٣٠/ ٢٩٩/ح١٨٣٥٣) **وابن حبان في صحيحه:** (كتاب: البر والإحسان، ذِكْرُ الزَّجْرِ عَنْ تَصْدِيقِ الْأُمَرَاءِ بِكَذِبِهِمْ وَمَعُونَتِهِمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ، ١/ ٥١٨/ح٢٨٤).

ومن صور إعانة الظالم، منفعته بالبيع والشراء، والأخذ منه والعطاء، ومواساته في الضراء، ومشاركته أفراحه وأعياده في السراء.

بل ينبغي مقاطعته اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا، ففي هذه المقاطعة نصرة للمظلومين، وإعانة للمستضعفين.

ومن النصرة لزوم الطاعة والبعد عن المعصية:

إن لزوم الطاعة والرجوع الى الله، وترك المعصية والكف عنها، من أهم مراتب النصرة الذي يستطيعها كل مسلم، نصرة لإخوانه المظلومين في كل بقاع الأرض.

فإن سئل سائل: ما فائدة طاعتي وعبادتي للمظلومين؟

نقول بل الفائدة عظيمة بفضل الله،

- **فبرجوعك إلى الله وتوبتك،** وكفك عن المعصية تكون أهلا للنصرة من الله عزو جل قال تعالى: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾(١).
- وتكون أهلا لاستجابة الدعوات، لصلاح قلبك وشغلك بالطاعات، فلو دعوت على الظالم، أو دعوت للمظلوم، كان أحرى لاستجابة دعواتك. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُوقِنُونَ بِالإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَجِيبُ دُعَاءً مِنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لاَهٍ(٢).

---

(١) من سورة الروم:٤٧.

(٢) **أخرجه الترمذي في سننه:** (أبواب الدعوات، ٥/ ٣٩٤/ح٣٤٧٩). **وأحمد في مسنده:**(١١/ ٢٣٥/ح٦٦٥٥) **والحاكم في المستدرك على الصحيحين:** (كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، ١/ ٦٧٠/ح١٨١٧) وقال: هَذَا حَدِيثٌ مُسْتَقِيمُ الْإِسْنَادِ تَفَرَّدَ بِهِ صَالِحٌ الْمُرِّيُّ، وَهُوَ أَحَدُ زُهَّادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ. والحديث حسن لغيره بشواهده، ومعناه صحيح.

- **وبطاعتك والكف عن المعاصي** يتقلص الفساد والظلم قال تعالى:﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴾(١).
- وبطاعتك وتوبتك ملكت قلبا منكرا للظلم مبغضا له، وهو لإخوانك نصرة، لأن فعلك للمعاصي يشغلك بنفسك، وبدنياك، وينسيك آخرتك كما ينسيك المظلومين من أمتك، فتداعى عليهم الأمم كما تداعي الأكلة على قصعتها.

فلا تكن أنت سببا في ذلك بمعصيتك وغفلتك.

فمراتب النصرة كثيرة:

فأعلاها النصرة بالنفس، ثم بالمال، ......الخ، وأدناها لزوم الطاعة والبعد عن المعصية، فاحرص على ما يناسبك منها إن لم يكن جميعها.

المبحث السادس:آثار النصرة:

إن للنصرة آثارا وفوائد عديدة في الدنيا قبل الآخرة ومن أهم آثارها:

أنها سبب لتفريج الكربات:

إن نصر المظلوم أو إعانته بأي صور من صور النصرة لها فضل عظيم وآثارا جمة أولاها أنها سببا لتفريج كربات يوم القيامة، وما أشدها تذهل كل مرضعة عما أرضعت، وما أكثرها فهي لا تعد ولا تحصى.

ففي الصحيحين أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: « وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً، فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ »(٢).

---

(١) من سورة الروم:٤١

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: المظالم والغصب، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ،٣/ ١٢٨/ح٢٤٤٢)، **ومسلم في صحيحه:**(كتاب: البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، ٤/ ١٩٩٦/ح٢٥٨٠).

قال النووي: "فِي هَذَا فَضْلُ إِعَانَةِ الْمُسْلِمِ، وَتَفْرِيجِ الْكُرَبِ عَنْهُ، وَيَدْخُلُ فِي كَشْفِ الْكُرْبَةِ وتفريجها من أزالها بماله، أو جاهه، أو مساعدته، والظاهر أنه يدخل فيه من أزالها بإشارته، وَرَأْيِهِ، وَدَلَالَتِهِ"(١).

فدفع البلايا التي تحل بالمستضعفين في الحياة الدنيا نوع من الإحسان، ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾(٢).

فمن أصابته ضراء أو ضائقة بذل له جهده،؛ وكل من حاق به ظلم ظالم رفع عنه الظلم ما وجد لذلك سبيلا، وكل من سعى لإخوانه في إزالة النوائب أو تخفيفها؛ فقد ضمن الله له رفع الكرب عنه يوم القيامة؛ وكرب يوم القيامة شديدة لا تماثل كرب الدنيا؛ فليس لدرئها سبيل إلا معونة تقدمها في الدنيا للمظلومين والمكلومين من المسلمين.

سبب لمعونة الله تعالى:

إن نصرة المظلوم وإعانته سبب لمعونة العبد في قضاء حوائجه، وهل تقضى الحوائج إلا بتوفيق الله ومعونته، فلينتبه كل مسلم وليحرص على معونة إخوانه ليكافأ بأعظم منها وهي معونة الله له، فالله يُعامِل العبدَ بمثل ما يُعامِل به الخلق، قال رسول الله ﷺ: «وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»(٣).

---

(١) شرح النووي على مسلم: (١٦/١٣٥).

(٢) من سورة الرحمن:٦٠

(٣) **أخرجه مسلم في صحيحه**:(كتاب: الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، بَابُ: فَضْلِ الِاجْتِمَاعِ عَلَى تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ وَعَلَى الذِّكْرِ،٤/٢٠٧٤/ح٢٦٩٩)، **وأبو داود في سننه**: (كتاب: الأدب، بَابٌ: فِي الْمَعُونَةِ لِلْمُسْلِمِ،٤/٢٨٧/ح٤٩٤٦) **والترمذي في سننه**: (أبواب: الحدود، بَابُ مَا جَاءَ فِي السَّتْرِ عَلَى الْمُسْلِمِ،٣/ ٨٦/ح١٤٢٥) وأحمد في مسنده: (١٢/ ٣٩٣/ح٧٤٢٧).

"وهذا دَالٌّ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يَتَوَلَّى إِعَانَةَ مَنْ أَعَانَ أَخَاهُ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ يَتَوَلَّى عَوْنَهُ فِي حَاجَةِ الْعَبْدِ الَّتِي يَسْعَى فِيهَا، وَفِي حَوَائِجِ نَفْسِهِ، فَيَنَالُ مِنْ عَوْنِ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُنْ يَنَالُهُ بِغَيْرِ إعَانَتِهِ، وَإِنْ كَانَ تَعَالَى هُوَ الْمُعِينُ لِعَبْدِهِ فِي كُلِّ أُمُورِهِ لَكِنْ إذَا كَانَ فِي عَوْنِ أَخِيهِ زَادَتْ إعَانَةُ اللَّهِ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَشْتَغِلَ بِقَضَاءِ حَوَائِجِ أَخِيهِ فَيُقَدِّمُهَا عَلَى حَاجَةِ نَفْسِهِ لِيَنَالَ مِنْ اللَّهِ كَمَالَ الْإِعَانَةِ فِي حَاجَاتِهِ"(١)

وقال ابن دقيق العيد: "هذا الإجمال لا يسع تفسيره إلا أن منه أن العبد إذا عزم على معاونة أخيه ينبغي أن لا يجبن عن إنفاذ قولٍ أو صَدعٍ بحقٍ إيماناً بأن الله تعالى في عَونه"(٢).

فكن في عون إخوانك في مصائبهم يكن الله لك في أمورك كلها، كن في نصرة أخيك يكن الله لك نصيرا، نصيرا لك ومعينا في قضاء حاجة أخيك، ونصيرا لك ومعينا في قضاء حوائج نفسك، وأي نصر أعظم من نصر الله عزوجل لك.

نصرة المسلمين والمستضعفين مُجلِبة لرحمة الله تعالى:

لا شك أن نصرة المظلوم هي من الرحمة التي في قلب المسلم تجاه المظلوم، والرحمة لا جزاء لها عند الله إلا الرحمة فقد قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ....." (٣).

---

(١) **سبل السلام (٢/ ٦٣٩)** .

(٢) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ١٢٠).

(٣) **أخرجه أبو داود في سننه:**(كتاب: الأدب، بَابٌ فِي الرَّحْمَةِ، ٤/ ٢٨٥/ح٤٩٤١) **والترمذي في سننه:** (أبواب: البر والصلة، بَابُ مَا جَاءَ فِي رَحْمَةِ الْمُسْلِمِينَ،٣/ ٣٨٨/ح١٩٢٤) وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ، **و أحمد في مسنده:** (١١/ ٣٣/ح٦٤٩٤) عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرٍو.

واسْتِعْمَالِ الرَّحْمَةِ يكون لجميع خلق الله عزوجل مؤمنهم وكافرهم، وتكون بأي صورة، وأي نوع يحصل به الأجر فتكون بالإطعام، والنصرة وعدم الخذلان، وكل صور الإحسان، فإن الله لا يرحم إِلَّا مَنْ جَعَلَ فِي قَلْبِهِ الرَّحْمَةَ .

الفصل الثاني

الخذلان في ضوء السنة النبوية

المبحث الأول: تعريف الخذلان لغة وشرعا:

الخذلان لغة: من الْخَذْلُ تَرْكُ الْإِغَاثَةِ والنُّصْرَةِ[١].

خَذَل عَنهُ: خَذْلاً بِالْفَتْح وخِذْلاناً، بِالْكَسْرِ: تَرك نُصْرَتَه، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَإِنْ يَخْذُلْكُم فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُم مِنْ بَعْدِه، وخِذْلانُ اللَّهِ العَبدَ: أَن لَا يَعْصِمَه[٢].

وشرعا:

قال النووي: الْخَذْلُ: تَرْكُ الْإِعَانَةِ وَالنَّصْرِ، وَمَعْنَاهُ إِذَا اسْتَعَانَ بِهِ فِي دَفْعِ ظَالِمٍ وَنَحْوِهِ لَزِمَهُ إِعَانَتَهُ إِذَا أَمْكَنَهُ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ عُذْرٌ شَرْعِيٌّ[٣].

وقال الراغب: الخِذْلَان: هو ترك من يظنّ به أن ينصره [٤].

وقال البغوي هو: الْقُعُودُ عَنِ النُّصْرَةِ وَالْإِسْلَامُ لِلْهَلَكَةِ.[٥]

وقال السمعاني: الِامْتِنَاع عَن النُّصْرَة عِنْد الْحَاجة[٦].

وَالخَذْلُ كما يقول الطاهر بن عاشور: تَرْكُ نَصْرِ الْمُسْتَنْجِدِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى نَصْرِهِ[٧].

---

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ١٦).

(٢) تاج العروس (٢٨/ ٣٩٩).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢٠).

(٤) المفردات في غريب القرآن (ص: ٢٧٧).

(٥) تفسير البغوي – طيبة (٢/ ١٢٥).

(٦) تفسير السمعاني (١/ ٣٧٣) .

(٧) التحرير والتنوير (١٩/ ١٦).

المبحث الثاني: أنواع الخذلان:

إن للخذلان أنواع متعددة وهي:

الأول: خذلان الله للعبد:

وخذلان لله للعبد معناه أن يخلي بينه وبين نفسه، فلا يكون معه من الله توفيقا، ولا يمده الله بمعونته وهدايته وإرشاده، وإنما يكله إلى نفسه، فيضل ويزيغ ويهلك، لأن المرء بدون توفيق الله صار هلاكه محتما، بل وأقرب إليه من حبل الوريد، ولذا أمرنا بطلب الهداية والاستقامة في كل ركعة من الركعات.

ولا يتأتي هذا الخذلان من الله عزوجل إلا بذنوب اقترفها العبد، وفعل ما يقتضي الخذلان، فالذنوب والمعاصي سببا لكل شر وبلاء.

فينبغي على كل مسلم أن يطلب المعونة والتوفيق من ربه، فلا نصر إلا منه، ولا ينبغي للمسلم أن يفعل ما يوجب له الخذلان من ربه عزوجل قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾(١).

الثاني: خذلان الشيطان للإنسان:

ويتأتي هذا النوع من الخذلان يوم القيامة، يوم يأتي العاصي الذي كان للشيطان ملبيا ومطيعا فينتظر منه النصرة فلا يجدها، هيهات ثم هيهات، أنى له بها، ولا يملكها الشيطان أصلا لنفسه، فيقول كما جاء في كتاب ربنا متحسرا على حاله، ومخذلا لمن اتبعه:.﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(٢).

---

(١) من سورة آل عمران:١٦٠.

(٢) من سورة إبراهيم:٢٢.

قال القرطبي: مَا أَنَا بِمُغِيثِكُمْ، وَما أَنْتُمْ بِمُغِيثِيَّ، وَالصَّارِخُ وَالْمُسْتَصْرِخُ هُوَ الَّذِي يَطْلُبُ النُّصْرَةَ وَالْمُعَاوَنَةَ(١).

أي أن الكفار والعصاة يطلبون النصرة من الشيطان فلا ينصرهم، ولا هو ينصر نفسه، ﴿ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِلۡإِنسَٰنِ خَذُولٗا ﴾(٢)، أَيْ مَجْبُولٌ عَلَى شِدَّةِ خَذْلِهِ(٣).

ووَصْفِ الشَّيْطَانِ بِخَذْلِ الْإِنْسَانِ لِأَنَّ الشَّيْطَانَ يَكِيدُ الْإِنْسَانَ فَيُوَرِّطُهُ فِي الضُّرِّ فَهُوَ خذول(٤).

الثالث:خذلان الكافر للكافر:

وهذه محلها الآخرة، فنحن نرى بأعيننا في الدنيا نصرة الكافر للكافرين أمثاله ظالمين أو مظلومين، ليس محبة منه وإنما لمصلحة تعود على كليهما، أما في الآخرة فيتبرأ كل كافر من مثله، ويود لو يفتدي به من عذاب جهنم، وينادي الأتباع سادتهم يطلبون منهم النصرة فلا يجدون منهم إلا الخذلان يقول ربنا " ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾(٥).

وقال تعالى:﴿وَإِذۡ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمۡ تَبَعٗا فَهَلۡ أَنتُم مُّغۡنُونَ عَنَّا نَصِيبٗا مِّنَ ٱلنَّارِ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسۡتَكۡبَرُوٓاْ إِنَّا كُلّٞ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ حَكَمَ بَيۡنَ ٱلۡعِبَادِ ﴾(٦).

وغيرها الكثير من الآيات التي تبين خذلان الكافرين لبعضهم يوم القيامة حيث لا يجدوا لهم نصير.

---

(١) من سورة الفرقان:٢
(٢) من سورة الفرقان، من آية ٢٩
(٣) تفسير القرطبي (٩/ ٣٥٧) .
(٤) التحرير والتنوير (١٩/ ١٧).
(٥) من سورة الزُّخرُف:٦٧
(٦) من سورة غافر:٤٧،٤٨

الرابع: خذلان المسلم لأخيه المسلم:

وهو محور هذا البحث، وهذا الخذلان حاصل في الدنيا، وهو أن تترك نصرة من تقدر على نصرته، وتسلمه لعدوه، وقد نهى عنه رَسُولَ اللهِ ﷺ، فقَالَ: «الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ...»(١) أي لا ينبغي أن يظلم المسلم أخاه كذلك لا ينبغي له ترك نصرته وعدم رفع الظلم عنه ماستطاع إلى ذلك سبيلا، وعقوبة هذا الخذلان شديدة من الله عزوجل في الدنيا والآخرة.

المبحث الثالث: أسباب الخذلان:

للخذلان أسباب كثيرة منها:

الأول:ضعف الإيمان:

إن من أهم أسباب الخذلان هو ضعف الإيمان، لأن نصرة المظلوم من حقوق المسلم على أخيه، وخذلانه من المحرمات، فمن ترك الحقوق وفعل المحرمات فقد ضعف إيمانه بسبب عصيانه لربه، لأنه بلا شك كلما زاد الإيمان في القلب كلما زاد اتباع المسلم للمأمورات، واجتنابه للمنهيات، فالإيمان والعمل متلازمان.

"الإيمان قول وعمل، قول باللسان وهو الإقرار، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، مع الإخلاص بالنية الصادقة، وكل ما يطاع الله عز وجل به من فريضة ونافلة فهو من الإيمان، والإيمان يزيد بالطاعات، وينقص بالمعاصي، فأهل الذنوب مؤمنون غير مستكملي الإيمان من أجل ذنوبهم، وإنما صاروا ناقصي الإيمان بارتكابهم الكبائر(٢).

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: المظالم والغصب، بَابٌ: لاَ يَظْلِمُ المُسْلِمُ المُسْلِمَ وَلاَ يُسْلِمُهُ،٣/ ١٢٨/ح٢٤٤٢)، **ومسلم في صحيحه:** (كتاب: البر والصلة والآداب، بَابُ تَحْرِيمِ الظُّلْمِ، / ١٩٩٦/ح٢٥٨٠).

(٢) الإيمان لابن تيمية (ص: ٢٥٩).

الثاني: حب الدنيا، والجبن، وكراهية الموت:

عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»(١).

إن حب الدنيا أصل كل خطيئة ومعصية، فالتعلق بالدنيا وحبها يعلق القلب بشهواتها، ومفاتنها، وحب الدنيا وكراهية الموت مُتَلَازِمَانِ، وبسببهما يعطي المسلم الدَّنِيَّةِ فِي الدِّينِ، فالاشتغال بالدنيا والحرص عليها يُنسي المسلم أمر آخرته، كما يُنسيه تفقد إخوانه من المسلمين المكلوبين في بقاع الأرض، فتتكالب الأعداء على المسلمين لا بسبب قوتهم، وإنما بسبب ما أصاب المسلمون من وهن وضعف، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْعَافِيَةَ فَقَدِ ابْتُلِينَا بِذَلِكَ في زماننا هذا.

الثالث:اتباع الهوى

إن اتباع الهوى يصد عن الحق، والمسترسل في اتباعه يكاد لا يبصر قبحًا ولا يسمع نصحًا، ولا يدرك خطرًا لما هو مقبل عليه، ولذا نهانا الله عزوجل عن اتباع الهوى قال"﴿**أَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا**﴾(٢) فقد وصف ربنا سبحانه المتبعين لهواههم بأنهم كالأنعام قال تعالى: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٣).

(١) **أخرجه أبو داود في سننه:** (كتاب: الملاحم، بَابٌ فِي تَدَاعِي الْأُمَمِ عَلَى الْإِسْلَامِ، ٤/١١١/ح٤٢٩٧). قال المنذري: وفي اسناده صالح بن رستم الهاشمي مولاهم الدمشقي، سئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: مجهول لا نعرفه. (كشف المناهج والتناقيح في تخريج أحاديث المصابيح (٤/ ٤٣٧).

(٢) من سورة الفرقان:٤٣.

(٣) من سورة الفرقان:٤٤.

إن الله أمرنا باتباع وحيه، والعمل بشريعته، ففيهما النجاة دنيا وآخرة، ولذا فإن المتبع لهواه لا يُرجى منه نصرة لمظلوم، فهو عاجز عن نصرة نفسه على هواها، وردها إلى الحق، فكيف ينصر غيره؟

الأنانية وحب النفس:

كذلك من أهم أسباب الخذلان أنانية الإنسان وحبه لنفسه، فلا يهتم لغيره، ولا ينشغل إلا بنفسه، والأنانية خلق ذميم، نهى الإسلام عنه، وقد عاب النبي ﷺ على الأعرابي لما قال " اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلاَ تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا. فَلَمَّا سَلَّمَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ لِلْأَعْرَابِيِّ: « لَقَدْ حَجَّرْتَ وَاسِعًا »(١) يُرِيدُ رَحْمَةَ اللَّهِ.

وقد عاب عليه ذلك لأن المسلم كما أنه مأمور بحب نفسه، وحمايتها، والانشغال بها، فهو مأمور أيضا بحب المسلمين، والذب عنهم، والاشتغال بأحوالهم، وهذا من تمام الإيمان، فعَنْ أَنَسٍ – رضي الله عنه–، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»(٢).

قَالَ الشَّيْخُ أَبُو عَمْرٍو بْنُ الصَّلَاحِ: وَهَذَا قَدْ يُعَدُّ مِنَ الصَّعْبِ الْمُمْتَنِعِ، وَلَيْسَ كَذَلِكَ، إِذْ مَعْنَاهُ لَا يَكْمُلُ إِيمَانُ أَحَدِكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ فِي الْإِسْلَامِ مِثْلَ مَا يُحِبَّ لِنَفْسِهِ، وَالْقِيَامُ بِذَلِكَ يَحْصُلُ بِأَنْ يُحِبَّ لَهُ حُصُولَ مِثْلِ ذَلِكَ مِنْ جِهَةٍ لَا يُزَاحِمُهُ فِيهَا بِحَيْثُ لَا تَنْقُصُ النِّعْمَةُ عَلَى أَخِيهِ شَيْئًا مِنَ النِّعْمَةِ عَلَيْهِ، وذلك سهل على القلب السليم، وإنما يَعْسُرُ عَلَى الْقَلْبِ الدَّغِلِ(٣).

---

(١) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الأدب، بَابُ رَحْمَةِ النَّاسِ وَالبَهَائِمِ، ٨/ ١٠/ ح٦٠١٠)، **وأبو داود في سننه:** (كتاب: الطهارة، باب: الأرض يصيبها البول، ١/ ١٠٣/ح٣٨٠)، **والترمذي في سننه:** (أبواب: الطهارة، بَابُ مَا جَاءَ فِي البَوْلِ يُصِيبُ الأَرْضَ ،١/ ٢١٥/ح١٤٧)، **وأحمد في مسنده:** (١٢/ ١٩٧/ح٧٢٥٥).

(٢) **أخرجه البخاري في صحيحه:** (كتاب: الإيمان، بَابٌ: مِنَ الإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ،١/ ١٢/ح١٣) **ومسلم في صحيحه:**(كتاب: الإيمان، بَابٌ: الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ خِصَالِ الْإِيمَانِ أَنْ يُحِبَّ لِأَخِيهِ الْمُسْلِمِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ مِنَ الْخَيْرِ، ١/ ٦٧/ح٧١).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٧).

فلو أحب كل مسلم لأخيه ما يحب لنفسه، لما ترك المسلم أخاه تحت وطأة الظلم، ولدفع عنه الظلم بكل ما أوتي من قوة، كأنما يذب عن نفسه.

الرابع: التخاصم والتنازع والتفرق:

قال تعالي ﴿ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ ﴾ (١) يبين الله عزوجل في هذه الآية أن التنازع والتخاصم بين المسلمين سببا لهزيمتهم، وضعفهم، وتمكين الأعداء منهم، ولذا نهى المسلمين عنه، فلو وجد بين المسلمين التخاصم، والتنازع فمن أين تأتي النصرة إذن؟

إنما تأتي النصرة من الإخوان المتحابين المتآلفين، قَالَ الماوردي: مَنْ لَمْ يَرْغَبْ بِثَلَاثٍ بُلِيَ بِسِتٍّ: مَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي الْإِخْوَانِ بُلِيَ بِالْعَدَاوَةِ وَالْخِذْلَانِ، وَمَنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي السَّلَامَةِ بُلِيَ بِالشَّدَائِدِ وَالِامْتِهَانِ، وَمِنْ لَمْ يَرْغَبْ فِي الْمَعْرُوفِ بُلِيَ بِالنَّدَامَةِ وَالْخُسْرَانِ، ولَعَمْرِي إنَّ إخْوَانَ الصِّدْقِ مِنْ أَنْفَسِ الذَّخَائِرِ وَأَفْضَلِ الْعُدَدِ؛ لِأَنَّهُمْ سَهْمَاءُ النُّفُوسِ وَأَوْلِيَاءُ النَّوَائِبِ(٢).

فليحرص المسلمون على نبذ الخلافات والخصومات التي تفت في عضد الأمة، وتودي بهلاكها. نسأل الله السلامة وعدم الخذلان.

المبحث الرابع:عواقب الخذلان في الدنيا والآخرة:

إن خذلان المسلم لأخيه المسلم لهو أمر عظيم عند الله عزوجل، ويترتب على فعله مفاسد عظيمة، ولذا فإن الله قد توعد من فعل ذلك بمثل صنيعه، للتنفير من هذا الخلق المذموم والبعد عنه، ومن أهم عواقبه:

الأول: خذلان المسلمين سبب للفتنة والفساد الكبير:

يقول ربنا سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ﴾(٣).

---

(١) من سورة الأنفال:٤٦.

(٢) أدب الدنيا والدين (ص: ١٦٤).

(٣) من سورة الأنفال: ٧٣.

قال الطبري في تفسير هذه الآية: تأويله" إِلَّا تَفْعَلُوا مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ مِنَ التَّعَاوُنِ وَالنُّصْرَةِ عَلَى الدِّينِ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ؛ إِذْ كَانَ مُبْتَدَأُ الْآيَةِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ﴾(١) بِالْحَثِّ عَلَى الْمُوَالَاةِ عَلَى الدِّينِ وَالتَّنَاصُرِ جَاءَ، وَكَذَلِكَ الْوَاجِبُ أَنْ يَكُونَ خَاتِمَتُهَا بِهِ(٢).

وقال ابن كثير: "ومعنى قوله إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسادٌ كَبِيرٌ أَيْ إِنْ لَمْ تُجَانِبُوا الْمُشْرِكِينَ وَتُوَالُوا المؤمنين وإلا وقعت فتنة في الناس وهو التباس الأمر واختلاط المؤمنين بالكافرين فيقع بين الناس فساد منتشر عريض طويل"(٣).

وهو ما يفسره ويأكده الفتن العظيمة التي تموج بالأمة، والفساد الكبير الذي نعاينه ونشاهده رؤيا العين، فما كل ذلك إلا بسبب خذلان المسلمين بعضهم البعض، بل وموالاة بعضهم لأعداء الإسلام والمسلمين، نسأل الله الرحمة والغفران، فلو انتفض المسلمون لنصرة إخوانهم لارتعد الأعداء وانهزموا، بل وما استطاعوا النيل من مسلم قط.

الثاني: خذلان المسلمين سبب لخذلان الله للعبد في الدنيا والآخرة:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنَ امْرِئٍ يَخْذُلُ امْرَأً مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ تُنْتَهَكُ فِيهِ حُرْمَتُهُ وَيُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ، إِلَّا خَذَلَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ فِيهِ نُصْرَتَهُ، وَمَا مِنَ امْرِئٍ يَنْصُرُ مُسْلِمًا فِي مَوْضِعٍ يُنْتَقَصُ فِيهِ مِنْ عِرْضِهِ وَيُنْتَهَكُ فِيهِ مِنْ حُرْمَتِهِ، إِلَّا نَصَرَهُ اللَّهُ فِي مَوْطِنٍ يُحِبُّ نُصْرَتَهُ»(٤).

(١) من سورة الأنفال: ٧٢

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان ط هجر (٢٩٩/١١).

(٣) تفسير ابن كثير ط العلمية (٨٧/٤).

(٤) أخرجه أبو داود في سننه:(كتاب: الأدب، بَابُ مَنْ رَدَّ عَنْ مُسْلِمٍ غِيبَةً،٢٧١/٤/ح٤٨٨٤). **وأحمد في مسنده:** (٢٦/ ٢٨٨/ح١٦٣٦٨).**قلت:** وإسناده ضعيف، فيه: مجهولان، **يحيى بن سليم** بن زيد قال ابن حجر: مجهول من السادسة، تقريب التهذيب (ص: ٧٥٦٢/٥٩١)، **وإسماعيل بن بشير**، قال ابن حجر: مجهول من الثالثة.(تقريب التهذيب (ص: ٤٢٧/١٠٦). =

وقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " مَنْ أُذِلَّ عِنْدَهُ مُؤْمِنٌ فَلَمْ يَنْصُرْهُ، وَهُوَ يقَدِرُ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُ أَذَلَّهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "(١).

والحديثان وإن كان فيهما ضعف إلا أن معناهما يعضد بعضه بعضا، والقاعدة الثابتة التي أرساها الله عزو جل لنا أن الجزاء من جنس العمل، كما أنه قال سبحانه ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ﴾(٢).

من نصر أخاه نصره الله، ومن خذل أخاه وهو قادر على نصرته خذله الله وأذله، فلينظر كل مسلم ما يريد من ربه عزوجل وليقدم من جنسه أولًا.

الثالث: خذلان المسلمين سبب للعنة الله وسخطه:

قال رسول الله ﷺ «لَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُقْتَلُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا، فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ ؛ حَيْثُ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ، وَلَا يَقِفَنَّ أَحَدُكُمْ مَوْقِفًا يُضْرَبُ فِيهِ رَجُلٌ ظُلْمًا؛ فَإِنَّ اللَّعْنَةَ تَنْزِلُ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ حِينَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ»(٣).

أي أن الخذلان سبب للعنة الواحد الديان، واللعنة هي الطرد من رحمة الله، نعم استحقها الخاذل لما اقترف من ذنب عظيم وإثم كبير، وهو ترك المظلوم، وعدم نصرته وهو قادر على ذلك، نسأل الله السلامة.

= وله شاهد من حديث جابر وأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنهما (الحديث التالي)، فارتقى الحديث إلى الحسن لغيره بشاهده.

(١) أخرجه أحمد في مسنده: (٣٦١/٢٥/ح١٥٩٨٥) وفي إسناده ضعف، فيه عبد الله بن لهيعة، وله شواهد كثيرة بمعناه منها الحديث السابق.

(٢) من سورة الرحمن:٦٠

(٣) أخرجه الطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ أَسَدُ بْنُ عَطَاءٍ، قَالَ الْأَزْدِيُّ: مَجْهُولٌ، وَمِنْدَلٌ وَثَّقَهُ أَبُو حَاتِمٍ وَغَيْرُهُ، وَضَعَّفَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ. (مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢٨٤).
قلت: له شاهد بمعناه من حديث خَرَشَةَ بْنِ الْحُرِّ عَنِ النَّبِيِّ – صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قَالَ: " «لَا يَشْهَدَنَّ أَحَدُكُمْ قَتِيلًا ؛ لَعَلَّهُ أَنْ يَكُونَ قُتِلَ مَظْلُومًا فَتُصِيبُهُ السُّخْطَةُ» ".
وقال الهيثمي: رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبَرَانِيُّ، وَفِيهِ ابْنُ لَهِيعَةَ وَحَدِيثُهُ حَسَنٌ وَفِيهِ ضَعْفٌ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد (٦/ ٢٨٤/ح١٠٧٠٩).

الخاتمـــة

الحمد لله رب العالمين، الذي شرح صدور من اصطفاهم من خيار المؤمنين، لنصرة وكشف اللثام عن هدي سيد الأولين والآخرين، فبذلوا الجَهد في بيان ما ورد عنه صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من معالم الدين، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له إلها صمدا ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله خير بشير ونذير القائل : « **نَضَّرَ اللَّهُ امْرءًا سَمِعَ مِنَّا شَيْئًا فَبَلَّغَهُ كَمَا سَمِعَ، فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» (١) صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وعلى كل من نهج نهجه القويم.

وفي ختام بحثي هذا أسأل الله بمنه وكرمه أن يتقبل مني هذا العمل، وأن يجعله خالصًا لوجهه، فهذا الجهد وعليه التكلان، فإن وفقت فيه فمن فضل الله عزوجل علي، وإن كانت الأخرى فمن نفسي، وأرجو من الله الغفران، وألتمس لنفسي عزاء فعل الأسلاف من ختم مصنفاتهم بالاعتذار، وطلب حسن الاستدراك، فالقصور والخطأ شأن البشر فقلما يخلو مؤلف من السقطات أو ينجو بحث من العثرات، وقد رُوي عن المُزَنِيِّ صاحِبُ الشّافِعِيِّ أنه قال: " لو عورض كتاب سبعين مرة لوجد فيه خطأ، أبى الله أن يكون كتاب صحيحا غير كتابه " (٢) .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خير الأنبياء والمرسلين، وعلى آل بيته الطيبين، وأصحابه الغر الميامين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

---

(١) أخرجه الترمذي في سننه:(أبواب: العلم، بَابُ مَا جَاءَ فِي الحَثِّ عَلَى تَبْلِيغِ السَّمَاعِ،٤/ ٣٣١/ح٢٦٥٧) عن عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، وقال: هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.
(٢) موضح أوهام الجمع والتفريق: ١ /١٤.

النتائج والتوصيات:

أهم النتائج:

- إن نصرة المظلومين واجب شرعي وخلق نبوي ينبغي على كل مسلم التحلى به.
- إن النصرة تكون لكل مظلوم مسلم وغير مسلم.
- إن للنصرة وسائل عديدة ومتنوعة بحسب استطاعة كل مسلم.
- إن للنصرة آثارا وفوائد عظيمة تعود على المسلمين في الدنيا والآخرة.
- إن خذلان كل مظلوم مسلم أو غير مسلم لهو ذنب عظيم وجرم كبير له عواقبه في الدنيا والآخرة.
- إن من أهم أسباب خذلان المسلمين ما يقع بين المسلمين من خصومات ومنازعات مفتعلة من أعداء الإسلام لتشتيت المسلمين وقطع أواصر الرحمة بينهم والود بينهم.

أهم التوصيات:

- أوصي نفسي والمسلمين بالرجوع إلى تعاليم ديننا الحنيف والتخلق بأخلاق المصطفى صلى الله عليه وسلم، فإن فيهم الفوز بسعادة الدنيا والآخرة.
- الفهم الصحيح للدين، وعدم الفتوى بلا علم أو فهم.
- نبذ الخلافات والمنازعات بين المسلمين، وتوطيد العلاقات بين بلدان المسلمين جميعا.

المصـادر والمراجــع

- القرآن الكريم.
- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري- المؤلف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر- الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ- عدد الأجزاء: ٩
- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم- المؤلف: مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي- الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت- عدد الأجزاء: ٥
- أدب الدنيا والدين، للماوردي علي بن محمد بن حبيب، ت: ٤٥٠ هـ، ١ /٨٢، الناشر : دار مكتبة النجاة ١٩٨٦م .
- المعجم الأوسط، المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) المحقق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني؛الناشر: دار الحرمين القاهرة، عدد الأجزاء: ١٠
- النهاية في غريب الحديث والأثر ؛لأبي السعادات المبارك بن محمد الجزري، دار النشر : المكتبة العلمية - بيروت - ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، تحقيق : طاهر أحمد الزاوى - محمود محمد الطناحي
- تفسير القرآن العظيم، المؤلف: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، المحقق: محمد حسين شمس

الدين، الناشر: دار الكتب العلمية، منشورات محمد علي بيضون – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٩ هـــ.

- سنن ابن ماجه؛ المؤلف: ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـــ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي؛ الناشر: دار إحياء الكتب العربية – فيصل عيسى البابي الحلبي؛ عدد الأجزاء:٢.
- سنن أبي داود؛ المؤلف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني (المتوفى: ٢٧٥هـــ) المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد؛ الناشر: المكتبة العصرية، صيدا– بيروت؛ عدد الأجزاء:٤.
- عون المعبود وحاشية ابن القيم ؛ لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي(المتوفى: ١٣٢٩هـــ)، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥ هـــ .
- غريب الحديث؛ المؤلف: إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق [١٩٨ – ٢٨٥] المحقق: د. سليمان إبراهيم محمد العايد؛الناشر: جامعة أم القرى – مكة المكرمة؛الطبعة: الأولى، ١٤٠٥؛عدد الأجزاء: ٣.
- غريب الحديث؛المؤلف: أبو عُبيد القاسم بن سلاّم بن عبد الله الهروي البغدادي (المتوفى: ٢٢٤هـــ) المحقق: د. محمد عبد المعيد خان؛الناشر: مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد– الدكن؛الطبعة: الأولى، ١٣٨٤ هـــ – ١٩٦٤م؛ عدد الأجزاء: ٤.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري؛المؤلف: أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي؛الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩؛رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي،قام بإخراجه وصححه وأشرف على

طبعه: محب الدين الخطيب؛عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز؛عدد الأجزاء: ١٣.

- لسان العرب؛ المؤلف: محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)؛ الناشر: دار صادر – بيروت؛ الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ؛ عدد الأجزاء: ١٥.
- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد ؛ المؤلف: أبو الحسن نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي (المتوفى: ٨٠٧هـ) المحقق: حسام الدين القدسي؛ الناشر: مكتبة القدسي، القاهرة؛ عام النشر: ١٤١٤ هـ، ١٩٩٤م؛ عدد الأجزاء: ١٠.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل؛ المؤلف: أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)؛ المحقق: شعيب الأرنؤوط – عادل مرشد، وآخرون؛ إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي؛ الناشر: مؤسسة الرسالة؛ الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠١ م
- المعاصر – بيروت ؛ سنة النشر: ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م ؛ عدد الأجزاء:١
- مكارم الأخلاق ؛المؤلف: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (المتوفى: ٣٦٠هـ) كتب هوامشه: أحمد شمس الدين؛الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان؛الطبعة: الأولى، ١٤٠٩ هـ – ١٩٨٩ م؛عدد الأجزاء: ١.

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــــوع
١	المقدمة
٢	الفصل الأول
٣	الفصل الثاني
٤	الخاتمة
٥	النتائج والتوصيات
٦	المصادر
٧	فهرس الموضوعات